

أثر اللسانيات المعرفية في توجيه الخطاب اللساني

Cognitive Linguistics and Its Impact on Guiding Linguistic Discourse

Descriptive-Analytical Approach

ط.د مراد رابي¹،¹ المركز الجامعي عبد الله مرسلتي تيبازة (الجزائر) rabehi.mourad@cu-tipaza.dz

تاريخ النشر: 2025/06/20

تاريخ القبول: 2025/05/28

تاريخ الاستلام: 2025/04/01

ملخص:

يعالج هذا المقال الدور اللساني والسميائي والمعرفي الهادف إلى اكتشاف وسائل إنتاج الدلالة وأشكال البنى السطحية والعميقة في الخطاب اللساني؛ ومن ثمة تحديد وظائفها من مثل التواصلية، المقصدية، الإيحائية، التبليغية. وتتمثل هذه الأجزاء في مستويات التحليل اللساني وفق مستويات متعددة: الصرفية، التركيبية، الدلالية، البلاغية، ومعرفة أسباب وأحوال نشوء الخطاب اللساني، على اعتبار مجموعة من العلامات اللغوية وغير اللغوية، في الحقل اللساني. وكذا إدراك العلاقات بين المتلقي والتوجه اللساني والثقافي أثناء الدورة التخاطبية. إلى هنا وجب علينا طرح السؤال التالي: إلى أي مدى يمكن للمعرفة اللسانية تحقيق نجاعة الخطاب اللساني؟ وماهي المقاربات والآليات المتخذة في سبيل تحقيقها؟

كلمات مفتاحية: اللسانيات، الخطاب، العلامة، التواصل، المعرفية.

Abstract:

This article examines the linguistic, cognitive, and semiotic roles aimed at uncovering the means of meaning production and exploring the forms of surface and deep structures in linguistic discourse, along with identifying their functions, such as communicative, intentional, suggestive, and informative roles. It analyzes linguistic

discourse at various levels: morphological, syntactic, semantic, and rhetorical. The study also investigates the origins and conditions of linguistic discourse, considering linguistic and non-linguistic signs in the linguistic field. Furthermore, it explores the relationships between the audience and the linguistic, cultural, and social orientations during the communicative process. This raises the question: To what extent can linguistic knowledge enhance the efficiency of linguistic discourse? What approaches and mechanisms can be adopted to achieve this?

Keywords: Linguistics, discourse, sign, communication, cognition.

المؤلف المرسل: مراد رابحي، المركز الجامعي عبد الله مرسلّي تيبازة.

1 تمهيد:

تعد المقاربات اللسانية والمعارف العلمية المتنوعة كالمناطق وعلم النفس التحليلي واللسانيات الاجتماعية والمعارف والثقافات اللسانية المتنوعة موطنًا تنتقي منه اللسانيات المعرفية مادتها العلمية والعملية، كما أن للسياق الاجتماعي دور في فهم وسبك أغوار النص أو الخطاب اللساني، ويتعلق هذا الأخير بالبنى اللسانية وما وراء الجمل من دلالات مخفية فيكون بمثابة الكاشف عن جوهر اللغة في خضم الأنساق اللغوية المختلفة، وذلك من أجل تحقيق الكفاءة اللغوية سواء أثناء الخطابات اللسانية أو في تعلم وتعليم اللغات. وهما يستدعي أن يمتلك المتكلم أو المخاطب كفاءة لغوية ومعرفة لسانية عالية بأحوال ومقاصد الكلم أثناء التواصل اللغوي أو ما يسمى عند بعض اللسانيين بالدورة التخاطبية للغة. كما تهتم اللسانيات المعرفية بدراسة المعارف اللسانية من قبيل علوم اللسان المختلفة كمسألة لاكتساب اللغوي، وتعليم وتعلم اللغات أو اللهجات أو التقابل اللساني وبعض المقارنات اللغوية للألسن البشرية، أو دراسة الجانب المعجمي.

مهما يكن من فصل بين اللغة وبعض العناصر اللسانية الأخرى المشكلة للفعل التواصل، فإنه لامناص للفصل بين اللغة والفكر أو الفكر و اللغة فكلاهما وجهان لعملة واحدة ؛ فاللغة آلة تصوير للواقع الفكري الذي يصل ويجول بأذهاننا، واللغة مفتاح للبحث اللساني ووسيلة للعلم و للرقى والازدهار، لاسيما إذا تعلق الأمر باللغة المنطوقة أو المكتوبة ، واللغة متنوعة بتنوع الفكر واختلاف الأوساط الكلامية ، فلغة الصم البكم مثلا تعتمد على الإشارات والإيحاءات والسميائية أكثر من الرموز اللغوية المكتوبة أو المنطوقة ، ولغة الطير مثلا تختلف عن لغة الإنسان من حيث النطق والكيفية والأصوات اللغوية ، ويلزم حسب الأصوليين في اللغة من مطابقة الكلام لمقتضى حال العلامات أو الدلالات اللغوية ، سواء أكانت دلالات لفظية أم غير لفظية وسواء أكانت معنوية أم وضعية، وهذا هو أساس البيان والتبليغ ، يقول الجاحظ: في تعريفه للبيان بأنه " اسم جامع لكل ما كشف لك عن قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصله كائننا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل " (1) وكشف القناع عن الدلالة اللغوية هنا قد يكون بقرائن لفظية وعلامات غير لغوية كذلك ، يقول موضحا ذلك : " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لاتنقص ولاتزيد أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة " (2) وكل من اللفظ والإشارة والعقد والخط والحال علامات وسمات يستدل بها في الخطابات اللسانية سواء كانت لغوية أو رمزية ؛ والذي يحدد نوعية العلامة في التركيب اللساني على اختلاف أشكاله ومقصدياته اللغوية والاجتماعية والتواصلية والثقافية ، هو ما يسمى بالسياق اللغوي المحدد للمعنى أو الدلائل اللغوية يقول د.يوسف: " إن النقطة الرئيسية هنا هي أهمية السياق الذي يقال فيه الكلام ، إننا لانقول الكلام في فراغ ، بل نقوله في سياق هو في جزء منه لغوي (الأشياء التي قيلت مسبقا) ، وفي جزء آخر غير لغوي (ظروف المتحدثين مثل معرفتهم للعلم من حولهم وخبراتهم وتوقعاتهم ، وإننا نحقق الاستفادة من كل ما ذكر عندما نفسر مايقول الناس " (3) ويشير ابن خلدون هنا إلى أن الدلالات البيانية أو السيميائية

¹¹ : البيان والتبيين ، الجاحظ ، تح: درويش جويدي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2005 ج1، ص69

² المصدر نفسه ، ج1، ص91

¹⁴ أساسيات اللغة ، تأليف ر.ل تراسك ، ترجمة رانيا إبراهيم يوسف ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط1- 2002 ، ص 77/78

المندرجة في علم اللغة إنما هي دلالات لغوية مضافة على مافي الألفاظ والتراكيب اللغوية وذلك بحسب الإفادة لما تقتضيه دلائلها من جهة وبحسب ما يقتضيه مقام الخطاب اللغوي والسياق من جهة أخرى يقول بن خلدون: "وهذه كلها زائدة على دلالة الألفاظ من المفرد والمركب ، وإنما هي هيئات وأحوال للواقعات جعلت للدلالة عليها أحوال وهيئات في الألفاظ ، كل بحسب ما يقتضيه مقامه ، فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات التي للهيئات والأحوال والمقامات (1) ولقد جاء في التراث العربي ما يدل على أهمية تناسق الدلالة اللغوية مع الفكر أو العقل ، كما يجب أن يؤخذ السياق اللغوي في الحسبان لنظم الوحدات اللسانية نظماً يضمن سلامة المعنى ووضوح العبارة وتحقيق مقصدية الخطاب ويركز الجرجاني على النسقية بين الوحدات اللسانية في نظرية النظم لديه أكثر من أي شيء يقول: "ليس المقصود لنظم الكلام إن توالى ألفاظها في النطق، بل إن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل" (2) أي أن تكون في ترابط وتناسق وفق ما يقتضيه عقل المخاطب ويدخل في هذا ما يسمى مقام الحال أو السياق اللغوي ويؤكد هذا قوله "إن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني ، فإنها لامحالة تتبع المعاني في مواقعها ، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس ، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله في النطق. فإما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر الذي يتوآصفه البلغاء فكراً في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر يستأنفه ، لأن تجيء بالألفاظ على نسقها" (3). ومهما يكن من وصف للعلامة اللغوية أو الدلالة اللغوية في التراث العربي، فإنها لا تبعد كثيراً عما جاءت به اللسانيات الحديثة تجاه هذا العلم (اللسانيات المعرفية) الذي هو حقل علمي يهدف إلى إدراك العلاقة القائمة بين العلامات، بحيث طورت من روافده اللسانية والعلمية بما يتماشى والمستجدات العلمية ، فنجد أن الكلام عن العلامة اللغوية أو السيميائية قد اختلفت في وصفه المصطلحات اللسانية ففي التراث العربي مثلاً استعملت ألفاظ

¹ المقدمة ابن خلدون عبد الرحمن - المقدمة : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الدار التونسية للنشر 1989.

² دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تح: محمود شاكر ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، د.ت ، ص 50/49

³ المرجع السابق ، دلائل الأعجاز : ص 53/52

لغوية كالمعنى والمبني للألفاظ والتراكيب اللغوية في نظرية النظم مثلا ، بينما نجد في اللسانيات الحديثة والمعاصرة كدوسوسور فردينالد وهمسلف وبيرس ورولان بارت وغيرهم : مصطلحات أخرى كالدال والمدلول بدلا من المعنى والمبنى ، والعلامة اللسانية بدلا من الألفاظ اللغوية ، والسيمائية بدلا من لغة الإشارة والبيان ، والصورة الذهنية بدلا من العقل وعلم اللغة بدلا من اللسانيات والتوزيع والاستعمال الوظيفي للغة ، بدلا من مصطلح الاستغراق والاستخدام اللغوي الذي جاء به عبد الرحمن الحاج صالح عليه رحمة الله ، وغيرها من الكلمات والمصطلحات اللسانية وهي كثيرة في علوم اللسان و أوسع وأشمل من النظرة التراثية القديمة للسان البشري .

2_ المعرفة اللسانية (Linguistique cognitive) (مقاربة وصفية بين التراث والحداثة) :

المعرفة اللسانية هي تلك السمات العلمية التي تندرج ضمن حقل النظم اللسانية وهي كلمة ذات شقين ، المعرفة وهي مفرد كلمة معارف ، وهي جميع الخبرات والمهارات العلمية في ميدان ما وتكون سببا في امتلاك مهارة الأداء ، ومهارة الفعل في المجال المنتمية إليه وفي موضوع اللسان أو اللغة ؛ فهي مجموع العلوم والخبرات والإدراك اللغوي ، والتفاعل في الحقل اللساني ، ونقصد بالعلوم مختلف علوم اللسان (اللغة) : "وعلوم اللسان العربي حسب بن خلدون هي اللغة والنحو والبيان والأدب" ⁽¹⁾ و تسعى كذلك عند بعض اللسانيين باللسانيات الإدراكية ، ومنه إدراك فحوى الخطاب اللساني عن طريق الملكات اللسانية المختلفة كالملكة اللغوية والنحوية والملكة التواصلية والملكة اللسانية الثقافية والاجتماعية ، والملكة التعليمية ... ، ولا تتأتى هذه الملكات إلا بإدراك المعارف اللسانية المتنوعة ومنها المذكورة سلفا ، واللغة هي الأفكار الإنسانية المعبر عنها بجارحة اللسان يقول بن خلدون : "اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام ، فلا بد أن تصوير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان ، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم" ⁽²⁾ فالمعرفة اللسانية تكون بمعرفة الطبيعة

¹ اللسان وعلومه في مقدمة ابن خلدون ، طريق المعرفة ، مجدي بن عيسى ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، (1435هـ/2015م) ، بيروت ، الحمراء ، ص96

² المقدمة ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص712

الاصطلاحية أو الوضعية للغة الواحدة ودلالاتها المتنوعة كما جاء بذلك نظريات النظم في التراث العربي ، يقول ميشال زكرياء: "إن الطبيعة الاصطلاحية في اللغة هي بالذات التي تنتج لمتكلميها التواصل عبر قناة تواصلية ثابتة بثبات الاصطلاح على الدلالة التي تعبر عنها الألفاظ في اللغة الواحدة" ⁽¹⁾ واللسانيات المعرفية ميدان من ميادين اللسانيات التطبيقية التي تستثمر النظريات اللسانية في الجانب النفعي للغة : كعلم النفس التحليلي ، وعلم الاجتماع ، ولسانيات الحاسوب ولسانيات العصبية ولسانيات التعليمية ولسانيات النص ...، وبالتالي فهي مجال نفعي براكماتي (Domaine pragmatique) يخص اللسان أو اللغة في جميع مستوياتها الصوتية و النحوية والصرفية والدلالية والبلاغية من جهة التحليل اللغوي للملفوظات واللغة المكتوبة ، ومن جهة أخرى تحدد الوظيفة اللغوية والاتصالية والتبليغية والتواصلية في المجتمع فهي بذلك تجمع بين مستويات اللغة ووظائف اللغة اللسانية والاجتماعية والثقافية ، ولذلك تداخلت العلوم والمجالات والمعارف الأخرى لدراسة هذه التأدية اللغوية أو مايسمى بالمنجز اللساني. حيث يرى عبد السلام المسدي أن هذا الأخير ارتبط بالجانب النطقي والدلالة اللغوية والمعارف العلمية لشتى العلوم يقول: "أن اللسانيات احتلت مكانة مرموقة بين كافة العلوم ، وخاصة أنها تهتم بالجانب النطقي لدلالة المعارف العلمية لكل علم من العلوم ، ولربما كانت العلوم الإنسانية أكثر غاية بهذا الحقل اللغوي على اعتبار علاقته الانتمائية بعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما من العلوم الأخرى...زاد من الإقبال النوعي لدراسة العلم اللغوي وربطه بمحاصيل الإنتاج المعرفي" ⁽²⁾ وهذا مايدل أن زيادة المحصول اللغوي والإنتاج المعرفي إنما هو كامن في تنوع العلوم الإنسانية والمقاربات اللسانية في دراسة الظواهر اللسانية مما يكثر من جاهزية وتوسع المعرفة اللسانية في مجالاتها المختلفة ، "ولقد مرت اللسانيات بعدة محطات فاصلة في صيرورتها التاريخية ، بدءا من مؤسسها الأول دي سوسير... وعرف جيل اللسانيات الثاني مع ظهور مايعرف باللسانيات الصورية؛ فجاءت الموجة الثالثة ألا

¹ ميشال زكرياء ، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون ، دراسة ألسنية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت ، 1986 ، ص13

² : التفكير اللساني عند عبد السلام المسدي، مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية ، إشراف الدكتور الأمين ملاوي ، سنة 2015 م، ص83

وهي اللسانيات الحاسوبية ، والتي جعلت من البحث اللساني مجالا عميقا تتقاطع فيه عديد الاختصاصات من علم الحاسوب والمنطق الرياضي وعلوم الأعصاب وعلم وظائف الأعضاء ووالإخ ، ثم جاءت الموجة الرابعة أو لنقل الجيل الرابع من اللسانيات ، وهو ما يطلق عليه اصطلاحا : اللسانيات المعرفية "cognitive linguistics" ⁽¹⁾ ولذلك ، فهي تعالج على وجه الخصوص المواضيع التي تتعلق بالإدراك اللغوي ، وبالسلوكيات الإنسانية وتفسير كل منهما بحسب المواقف والأحوال الاجتماعية واللسانية والعلمية ، مستعملة في ذلك مجمع المعارف والعلوم والمجالات اللسانية ، كالحاسوب وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ومختلف مبادئ الذكاء الاصطناعي التي تجعل من المعرفة اللسانية حقلا واسعا في تدارك وبناء الفكر اللساني ولذلك فالعلوم العرفانية هي ضرب واحدة من ركائز اللسانيات المعرفية إذ تركز هذه الأخيرة على علم النفس والفلسفة والذكاء الاصطناعي يقول د. الزناد موضحا هذا المعنى " فالعلوم العرفانية جملة من العلوم تدرس اشتغال الذهن والذكاء دراسة أساسها تظافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب (علوم الدماغ) واللسانيات والانتربولوجيا. وتدرس العلوم العرفانية الذكاء عامة والذكاء البشري وأرضيته البيولوجيا التي تحمله وتعنى كذلك بمنزلته ، وتبحث في تجلياته النفسية واللغوية والانتربولوجية" ⁽²⁾ ، فجمع المادة اللغوية عند الطفل مثلا لا يقتصر على المحفوظ في الدماغ (الذاكرة وفقط) بل كذلك بما يكتسبه من معارف في محيطه الخارجي وهذا ما يفسره قول الدكتور الزناد : " العمليات العرفانية دقيقة جدا وناجعة: مظاهر ذلك عديدة منها ما يهم الذاكرة ومنها ما يهم حل المسائل وعمليات الفهم والتمثيل ، وجميعها ينجز بالقليل الشيء الكثير ، فالكم الهائل من الوحدات اللغوية (الأصوات والكلمات والأبنية الإعرابية والتوليفات المتنوعة ، لوحفظ كله في الذاكرة ما أمكن الدماغ أن يسعه لأنه محدود ماديا ، كما أن التنوع في العبارات اللغوية وفي المتكلمين وفي أنماط ³ الخطأ والصواب لاتمنع جميعها الطفل في مرحلة الاكتساب من اختيار

¹ مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية - مج:2 - العدد الثاني - " اللسانيات المعرفية قراءة وتقويم في المنتج المعرفي، د. جعفر يايوش ، ص34

² نظريات لسانية عرفية، د. الأزهر الزناد ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، دار محمد علي للنشر ، د.ط ، د.ت ، ص15

الصحيح والاحتفاظ به" ⁽¹⁾ ولذلك فاللغة في النظر العرفاني يجب أن تدرس من جميع الجوانب الثقافية والحسية والنفسية والاجتماعية والاديولوجية ، مع التركيز في ذلك على وظيفتي اللغة الاجتماعية واللسانية يقول د. الزناد " ونظفر بخصائص العرفنية ... وبيان الخروج عن السابق من أنماط الوصف والتحليل ، ومنها دراسة اللغة من زاوية وظائفية عامة ، ومن زاوية وظائف نفسية (عرفنية) في إطار اجتماعي والمعتمد في ذلك كل الملكات أو الآليات من قبيل الإدراك ، والانتباه ، والمفهمة ، والمعنى والمقولة والخطاطات وزوايا النظر ، ومقام التخاطب في إطار التفاعل الاجتماعي والغايات التواصلية ، من حيث قيامها على المقاصد والتخطيط والتذكر ... ولذا وجب أن تدرس في إطار عرفاني متكامل فيه جميع الأبعاد الجسدية والبيئية والثقافية الجماعية ."⁽²⁾ حيث أن مصطلح اللسانيات المعرفية ظهر مع لاجا نكر عام 1996 ، فالتصور تبنيه الثقافة في الذهن قيل التكلم ، وكل لغة وثقافتها المختلفة ، حيث اتحاد كل من اللسانيات المعرفية واللسانيات الأنثربولوجية يحدد لنا مايسى بالثقافة اللغوية للمتكلم ، حيث أن اللسانيات المعرفية:هي تمثلات الأمور في العقل فوفرت الجانب الإدراكي ممثلا في التصوير.

أما مصطلح المفهمة (conceptualisation) فقد جاء مع اللساني ساير ، وهي البحث العلاقة بين اللغة والتصور الذهني والثقافة الإنسانية ، إلا أن اللسانيات المعرفية تركز على الإدراك الكلامي وفق علاقة اللغة والتصورات الذهنية في غياب التركيز على عنصر الثقافة وهذا هو الفرق الجوهرى بين المفهمة التي تحدث عليها د. الزناد وغيره ، في حين أن لسانيات سوسير يرى أن اللغة نظام علاماتي في الذهن ، ولا توجد كاملة إلا في الجماعة ، بحيث إذا افتقدها شخص ما وجدت عند الجماعة ، بينما العرفانية أو المعرفية تتكلم عن الجسدلة ، وتتخذ من الجانب النفسي والجسمي والعقلي ميدانا للمقاربة اللغوية ، حيث أن النظرية السلوكية لبافلوف في كتابه اللغة ردت الاعتبار لللسانيات المعرفية وذلك في ربط اللغة بتغيرات السلوك الإنساني ، حيث حاولت دراسة الاستجابات الناتجة عن مثيرات ، وهي نظرية نفسية أثرت في السلوكيات المعرفية ، كما جاء ناعوم

¹ نظريات لسانية عرفنية ، المرجع نفسه ، ص22.

² نظريات لسانية عرفنية ، المرجع نفسه ، ص31/32

تشو مسكي هو الأب الثاني للسانيات الحديثة بنظرة لسانية انتقلت من الوصف إلى التفسير (العقلنة) والذي يعطي للعنصر اللغوي وظيفتيه الأساسيتين : الوظيفة اللغوية : وهو ارتباطه وعلاقته مع غيره من العناصر أو الوحدات اللسانية الأخرى ، والوظيفة الطبيعية : هوسماته الخلافية مع غيره من العناصر اللغوية ، وبصيغة أخرى إن عناصر اللغة المكونة للدلالة لايمكن فصل كل منها عن الأخرى لوجود العلاقة المكونية للتصور الدلالي فيما بعد ، بينما تختلف السمات الطبيعية لكل عنصر من عناصر اللغة ، فمثلا عندنا في التراث النحوي : الحركات الإعرابية للوحدات اللسانية تختلف حركة الفاعل عن المفعول عن الفعل عن... لاختلاف الموقع والدلالة في آن واحد في حين أن التصور الدلالي لفلاسفة اللغة واللسانيين المحدثين كان يعتمد على مايسمونه بالمرجع (référent) وهو الصورة الذهنية المرتسمة أو المتصورة في العقل للشيء قبل حدوثه وذلك وفق مبد الصدق والكذب فمماوافق المرجع كان صادقا وما لم يشاكله فهو عكس ذلك وقد يشير المرجع لعدة أشياء "إن العلاقة الثابتة بين الرمز ومعناه ومرجه لهي من الانتظام بحيث أن كل رمز يقابله معنى معين. وكل معنى يقابله مرجع معرف ومحدد ، بينما يكون مرجع واحد (شيء واحد مشار إليه) له ماشئت من الرموز. وعلاوة على ذلك فإن معنى واحد قد تكون له في لغات كثيرة وأحيانا في لغة واحدة عبارات متعددة. وفي الحقيقة أن هذه العلاقة المنتظمة لها استثناءات وشواذ. ففي نظام تام من الرموز وجب أن يقابل كل معنى محدد عبارة خاصة "(1) ، إلا أن تشو مسكي قد وسع من هذا المفهوم بما يسمى باللسانيات التوليدية والتحويلية وهو قولبة وتوليد الصيغ والألفاظ إلى ألفاظ جديدة وفق المنهج التصوري أو التأويلي لدلالات البنى العميقة واختلافات البنى السطحية للوحدات اللسانية ، وأن المعرفة اللسانية في اكتساب اللغة لا تتأتى إلا من خلال مصطلحي الكفاية والأداء ، ويشبه المنهج التصوري والتأويلي للمعنى إلى حد كبير مايسمى بالاستعارة التخيلية في التراث العربي ، الأمر الذي يعكس مرآة الواقع الخارجي والتصورات الذهنية الجديدة للشيء ف"عملية إنشاء المراسلات بين المجال المصدر (المفاهيم المألوفة) والمجال الهدف (المفاهيم غير المعروفة) (...) إذن فالاستعارة تسمح بربط الخبرات المعروفة في مجال معين من المعرفة

¹ المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث ، تودوروف ، فريجة ترجمة وتحقيق: عبد القادر قنيني إفريقيا الشرق - 2000 ط: مزبدة ومنقحة - ص110

بخرات جديدة قيد التحقيق"⁽¹⁾، هذان من جهة ومن جهة أخرى نجد أن من العناصر المساهمة في البناء اللساني المعرفي الحديث ما يسمى بالتجربة الجسدية ، حيث للغة الجسدية دور فعال في فهم وإدراك العالم الخارجي عن طريق ما يسمى بالتفاعل الاجتماعي واللغوي وما يؤكد هذا الرأي قول رولاند لانفاكر "... من حيث نحن مخلوقات ذات أجساد نتفاعل مع ما يحيط بنا من خلال عمليات مادية تشمل النشاط الحسي والحركي ، بعرف ذلك في اللسانيات العرفانية بالجسدية.

لكن من الجلي أن حياتنا الذهنية تتجاوز حدود تجربتنا الجسدية الفورية ، فالعمليات العرفانية المتنوعة ، تنشيء أبنية ذهنية على مستويات متتابعة من التنضيد ، تزداد صلتها بتلك التجربة تباعدا على التدرج ، فهذه الأبنية لاتسمح لنا بالتعامل مع العالم الواقعي تعاملأ أنجع فقط ، بل تضبط ما يكونه وتوسعه إلى حد كبير كذلك "⁽²⁾ ، إذن: فمدركاتنا وتصوراتنا الذهنية للعالم الخارجي مرتبطة بتجاربنا النفسية للبيئة التي نحن فيها وفق الوعاء الناقل للتجربة الجسدية أو الحسية وهو اللغة ، فكل هذه التجارب النفسية والاجتماعية هي أساس التمثلات الذهنية وتسمى بالتراكيمات المعرفية التي يتأتى حضورها في الذهن انطلاقا من المواقف المشابهة أو المماثلة لها في الحياة الانسانية ، إلا أن الإدلال عليها (القضايا المعرفية) يكون بواسطة أفعال الكلام وفق مبدأ التفاعل اللساني والاجتماعي في الحياة ، لذلك فكل من التفاعل اللغوي والاجتماعي ، وكذا التجارب الحسية والنفسية ، واقتضاء طرق تأويلية وفق تصورات ذهنية للواقع أو العالم الخارجي... كلها مبادئ رئيسة وأساسيات لابد منها للنهوض بعالم المعرفة في حقل اللسانيات المعرفية . وتساهم الملكات اللسانية والاجتماعية في بناء المعرفة والفهم حسب نظرة ناعوم تشومسكي كما ذكرنا أنفا في مصطلحي التأدية و الإنجاز للغة ، يقول تشومسكي " أن موضوع النظرية الأول هو متكلم

¹ إنزابيل أوليفيرا. (جويلية، 2017) «الاستعارة الاصطلاحية من وجهة نظرعرفانية . «فصول» المجلد (25 / 4) العدد (100)

² رولاند لانفاكر. (2018). مدخل في النحو العرفي (الإصدار 01). (الأزهر الزئاد، المترجمون) تونس : المركز الوطني للترجمة..

/مستمع مثالي ينتمي إلى بيئة لغوية متجانسة تماما ، ويعرف جيدا لغته ، وحين يستعمل هذا الإنسان معرفته اللغوية في أداء كلامي فعلي لا يكون ، لا يكون مصابا بحالات غير ملائمة من الناحية اللغوية ، كالحذ من الذاكرة والشروء ، أو السهو ، أو انتقال الاهتمام والانتباه (CHOMSK:1965) ⁽¹⁾ ، فلقد ركزت التوليدية التحليلية في محل دراستها للغة على الضمنية اللغوية أو الدلالة الداخلية للخطاب اللغوي دون الانجاز الفعلي فقد عبر عنها ها هنا بكلمة (معرفته اللغوية) وهي المتضمنة في التجربة الانسانية والقدرة الذهنية الكامنة في مدى استعمال وفهم اللغة. وذلك وفق مبدأ الحس الذي هو سبب في مقدرة المستمع على فهم وإدراك لغة المتكلم ، أو بصيغة أخرى هو المعرفة الضمنية بقواعد المتكلم من غير تجريب ، لهذا فقد انتقلت المقاربة اللسانية عما كانت سائدة عليه في اللسانيات ما قبل التوليدية من النظر في السطحية أو الشكل اللغوي (la forme du langage) إلى الكشف عن المبادئ والقوانين المسؤولة عن إنتاج اللغة في الذهن ، وذلك لتأثر تشومسكي بالفلسفة العقلية ، فتأثر البحث اللساني بالمجال الفلسفي والعقلي .

3: التفكير والمسألة العرفانية :

لاغرو كما ذكرنا سابقا للفصل بين الفكر واللغة وأنها وجهان لعملة واحدة ألا وهي المعرفة اللسانية وقد نصل بواسطة التفكير الخطابي (pensé discursive) إلى كنه المعارف الذهنية ، ذلك لأن التصورات العقلية للمادة اللغوية وتحولاتها أو تمثلاتها في الذهن البشري أمر في غاية التعقيد ، إذ تعتبر اللغة هي الوسيلة والترجمان الحقيقي لما يختلج في النفس علاوة عن التفكير الذهني والذي لا يفهم إلا من خلال اللغة سواء كانت أكانت لغة سيميائية ، أو رموزا وألفاظا لسانية متنوعة ويوضح هذا الكلام قول الكاتب أحمد يوسف " إن الفكر قادر على إدراك الأشياء بقدر ماهو قادر على إدراك الأفكار التي تضطلع بتمثيل الأشياء . ولا سبيل لذلك إلا باللغة" ⁽²⁾ ، كما أن سلامة التفكير شرط أساسي في بلوغ مقصدية وهدف المخاطب وذلك لإدراك مستوى الفهم في الخطاب وكذا محتوى ومضمون الرسالة اللغوية من جهة أخرى يقول لايبنتز " كي نجيد طبيعة

² مقال أحمد يوسف ، بهاء الحساب وبهاء الخطاب ، (دلالة مفهوم التفكير وغموضها) 05. 01 - 2018م

الأفكار لابد أن نتناول قليلا [مسألة] تنوع المعارف. فإني حين أتمكن من التعرف على شيء ما من بين أشياء أخرى من دون أن أتمكن من القول فيما تتمثل فوارقه وخصائصه ، فإن المعرفة تكون غامضة"¹

وهذا يدل على أن التفكير الصائب يسر عملية الفهم الذكي للأشياء ، مما يزيل الغموض عن المعرفة الذهنية لفوارق الأشياء وخصائصها المختلفة ، كما أن التفكير اللساني والعلوم البنية كعلم النفس التحليلي وعلوم اللغة و... يتجانسان جنبا إلى جنب في تعزيز العلاقة الابستمولوجية والمنهجية لتكوين المعرفة اللسانية في شتى مجالاتها وبدون التفكير الصحيح والممنهج في كنه الأشياء ، لا يصل الذهن إلى ضالته العلمية وهو إدراك جوهر وعمق الأشياء ، وفق متغيرات علمية ولسانية وثقافية " تلك المتغيرات التي جعلت الفكر البشري يسلك مسلك البحث عن الوحدة الداخلية للمعارف الإنسانية ، ومن ثم التمسك بالعناصر الفاعلة التي تعزز العلاقات المعرفية والمنهجية بين العلوم المعارف ، لأن كثيرا من المشاكل الطارئة في المجتمع الإنساني لا يمكن معالجتها إلا باعتماد آليات منهجية متعددة ... إذ إنها تعيد الاعتبار للوحدة الابستمولوجية بين العلوم والمعرف بوصفها منجزات متجانسة بتجانس الفكر البشري {²}

وتعتبر اللغة الرمزية واحدة من أهم عوالم اللسانيات المعرفية وكذا الفكر الإيحائي من جهة أخرى ، لما لها من علاقة مباشرة بين الفكر اللساني وبين الحواس الإنسانية المختلفة في الإدراك الذهني وتمثل الأشياء ، كحاسة الإدراك السمعي ، والإدراك البصري ، والإدراك الحسي ... ويلعب عنصر التفكير هنا دورا بارزا في سبك أغوار اللغة وإدراك الفهم والاستيعاب لمنظور الأشياء ونتائجها ، وتقوم اللغة الرمزية على " وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات ومدركات

¹ لاينتز، مقالة في الميتافيزيقا، تر. وتق. وت. الطاهر بن قيزة، مر. جورج زيناتي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط. 1، 2016. ينظر : بهاء الحساب وهباء الخطاب : مقارنة فلسفية ومنطقية ، أحمد يوسف

² (1- Voir, Léo Apostel et autres, Interdisciplinarité et sciences humaines Volume I.

Unesco 1983 (PUF) Paris 1983.p53 ينظر أ.د. أحمد حساني أثر اللسانيات التقابلية والنصية في ترقية تعليمية اللغة

العربية لغير الناطقين بها ، مقارنة بينية ص1

الحاسة الأقرب ، فتعطي المسموعات ألوانا وتعيد المشمومات أنغاما وتصبح المرنثيات عاطرة ... والألوان والأصوات والعطور تنبعث من مجال وجداني واحد ... وبذلك تكمل أداة التعبير بنفوذها إلى نقل الأحاسيس الدقيقة وفي هذا النقل ليتجرد العالم الخارجي من بعض خواصه المعهودة ليصير فكرا وشعورا.¹ } ، حيث أن اللغة الواصفة والموحية هنا هي وسييلة لنقل الأحاسيس من العالم الخارجي إلى الذات الإنسانية المدركة فتترجم تلك الأحاسيس شعورا وأفكارا على حد قول الكاتب ، بحيث يتم إدراكها باختلاف وظائف الحواس الإنسانية ، علاوة على أن التفكير في حد ذاته أمر يعتمد على مراحل و أبجديات ترتيب الأفكار في الذهن وتوجيهها توجيها سليما يتماشى وظروف الخطاب ويساعد في هذه العملية الإدراكية علم النفس المعرفي : " فهو يوضح أو يقدم إيضاحا جوهريا حول كيفية إمكان مستخدم لغة ما أن يقرأ أو يسمع منطوقات لغوية معقدة مثل النصوص وأن يفهمها وأن يستخرج معلومات محددة ، وأن يختزن هذه المعلومات بصورة جزئية على الأقل في الذاكرة وأن يعيد إنتاجها مرة أخرى ² } وهذا يعني أن هذا العمل الإنتاجي لإعادة صياغة المعلومات اللسانية في ظروف نصية وخطابية أخرى ، و بحسب ما يقتضيه مقام الخطاب أمر يعتمد على التفكير الدقيق تجاه استرجاع البنى اللسانية وتمثيلها في موضع آخر غير الموضع الإنشائي الأول في العملية التواصلية وذلك لعلاقات هذه الوحدات اللسانية ببعضها ، وكذا تداعيات السياق الاجتماعي والثقافي للغة من جهة أخرى . ومن بين أهم العلاقات: علاقة المشابهة وعلاقة السببية وعلاقة التمثل والمقامية ... وكلها تستدعي وضع الخطابات والانتاجات اللسانية في قوالب معرفية جديدة يكون العقل هو عنصر الإدراك فيها والتفكير هو أساس الإنتاج اللساني . فاللغة موجودة بالفعل في الذهن أو في المجتمع اللساني ؛ والفكر هو المحرك الأساسي لهذه اللغة وبواسطة الإدراك اللساني وهو (عملية عرفانية معقدة في الذهن) يمكن تحقيق عنصر الفهم للوحدات اللسانية وفق مقتضيات لسانية : كمقام الحال الكلام والظروف والسياقات الاجتماعية والثقافية للغة ... وبهذا

¹ . محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن دار العودة - بيروت ، لبنان ، 1983 - ص 395 - ينظر " مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة ، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي للطاهر وطار - دراسة تطبيقية - في 2015/12/10 - ص 42/41 . "

² ينظر : سعيد حسن بحيري، اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص - ص 145 - 10 رمضان - 2000/1421م

الشكل يمكن للساني أو المخاطب تحليل البنى اللسانية أو تمثيلها في الذهن، فيصبح بعدها قادر على إنتاج وفهم الخطابات اللسانية في ظروف وأحوال مختلفة .

ويمكن وضع مخطط بسيط لمسألة: التفكير واللغة و العرفنة اللسانية وفق مايلي :

4_ الخطاب اللساني والعرفانية

الخطاب اللساني:

يعد الخطاب اللساني نوع مهم من أنواع العملية التواصلية والتبليغية ، وهو بشقيه سواء كان مكتوبا أو منطوقا : (إشاريا أو عرفانيا أو ثقافيا أو اجتماعيا ...)؛ لا ينفك عن جارحة اللسان أو اللغة ، والخطاب اللساني : هو مركب وصفي من باب إضافة الصفة إلى الاسم ؛ وكلمة لساني تعني اللغة ، والخطاب اللساني هو استعمال اللغة أو اللسان في التواصل ، وقد ورد في القرآن الكريم لفظ الخطاب في " قوله تعالى : {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما } سورة الفرقان / الآية 63"⁽¹⁾ ، والمخاطبة هنا من الخطاب أو الحوار أو الكلام أو التواصل اللساني ، لأنه مقرر في أنفسهم أنه لاجدوى ولانفع في مخاطبة الجاهلين لذلك كان ردهم سلاما ، ولم يكن حوارا أو جملة لسانية تحمل دلالة أخرى وهذا من بلاغة القرآن الكريم ، أما الخطاب اللساني : في

اللغة : فقد ورد في لسان العرب لابن منظور ت: (711هـ) : " الخطب الشأن أو الأمر، صغر أو عظم ،... والخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة ، والشأن الحال ، وفي الحديث : خطب فلان إلى فلان فخطبه وأخطبه أي أجابه والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا ، وهما يتخاطبان ،..... الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب... الخطبة الكلام المنثور المسجع ونحوه. والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر،.... والمخطبة : الخطبة والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة التهذيب : قال بعض المفسرين في قوله تعالى { وفصل الخطاب } قال : هو أن

¹ سورة الفرقان / الآية 63

يحكم بالبينة أو اليمين ، وقيل معناه أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده ⁽¹⁾ ونستشف من كلام ابن منظور أن الخطاب ماهو إلا كلام سواء كان مشافهة أم كتابة ، وهذا الكلام مسجع وله بداية ونهاية ومن صفاته أنه يحمل رسالة لغوية مبناها المشاركة والمفاعلة : أي المخاطبة والتفاعل اللساني أثناء الحوار أو التواصل ، ويتميز كذلك بالقوة في المعنى والدلالة ، لقوله أن يفصل بين الحق والباطل ولا يكون ذلك إلا بقوة الدليل وسلامة اللغة وصدق الحجة على السامع أو المخاطب ، وهناك من اللسانيين من يفرق بين الخطاب كمصطلح لساني وبين القول أو الكلام ، بحجة أن وظيفة الخطاب تنحصر في الإفهام ، فنظرتهم إلى الخطاب هنا تحمل بعدا تداوليا مع اشتراط وجود مرسل ورسالة ومتلقي لها ، يقول أحد النحاة وهو المبرد ت:(285هـ): "من كلام العرب الاختصار المفهم ، والإطناب المفخم ، وقد يقع الإيماء على الشيء فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه ، كما قيل: لمحة دالة ، وقد يضطر الشاعر المفلق ، والخطيب المصقع ، والكاتب البليغ ، فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق ، واللفظ المستكره ، فإن انعطفت عليه جنبتا الكلام غطنا على غواره ، وسترتا من شينه ، فمن ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة الحسنة الوصف الجميلة الرصف ⁽²⁾ " فقد عبر بالكلام بدلا من الخطاب ، وإن كان قد ذكر كلمة الخطيب المصقع والكاتب البليغ فإنما هو يشير إلى أحد أقطاب العملية الخطابية و التواصلية ألا وهو المتكلم ، علاوة إلى يكون استعماله للألفاظ والكلمات استعمالا مفهما قريبا بينا لينا لدى ليتمكن السامع أو المتلقي من إدراك فحوى الخطاب ؛ وهذا حتى يتحقق العنصر الرئيس من العملية التواصلية وهو الإفهام والتبليغ ويميط اللثام عن مقصدية المتكلم أو المخاطب وفق تفاعل وتشارك لساني محض أثناء الخطاب اللساني سواء كان رمزيا مكتوبا أو ذهنيا ومنطوقا ، " لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ، إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام ؛ وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لاتزيد ولا تنقص : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي

¹ ابن منظور ، لسان العرب ، تج : الكبير عبد الله علي وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د. ت ، ص 1194 - 1195

² المبرد أبو العباس محمد بن يزيد ، تج : الدالي د . محمد أحمد الكامل ، مؤسسة الرسالة ط3 ، بيروت ، ج 1 . 1997 ، ص 40

تسمى نصابة".⁽¹⁾ ويبين الجاحظ هنا أن المغزى من الخطاب اللساني إنما هو تحقيق عنصر الفهم والإفهام وهناك طرق في الوصول إلى كنهه السامع ومراده لا يعرفها إلا من له دراية تامة بعلوم اللسان، إذ البيان اسم جامع لكل ما كشف عن المعنى على حد قوله، ثم يشير بعد ذلك إلى أن أصناف الدلالة قد تكون لفظاً أي دلالات لغوية، وغير لفظية كقوله الإشارة، ثم العقد وهو السياق الاجتماعي للخطاب اللساني، أي لابد من وجود أقطاب في العملية التواصلية وهي المرسل والسامع والرسالة، بالإضافة إلى الخط وهو نوع من أنواع الدلالة أو الخطاب ثم الحال ولا تتحقق مقصدية ومفهومة الخطاب اللساني إلا من خلال مراعاة مقام حال الخطاب والمتضمن لضبط الأنساق اللغوية بما يتماشى وظروف الاجتماعية والنفسية والإيديولوجية والثقافية للمتلقي، كما ذكرنا هذا سالفاً. كما أن لسانيات الخطاب عند المحدثين أشبه بها عند القدماء، فقط يكمن الاختلاف في أن اللسانيين المحدثين أدخلوا عليها علوماً بينية كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم... وفصلوا في قضية الخطاب أو الدورة الكلامية من حيث عناصر التواصل والمقصدية ولغة الحوار ونوعية الخطاب اللساني في العملية التواصلية "ففي الوقت الراهن إن محلي الخطاب يدرسون تقريباً كل أوجه أنشطة التواصل الإنساني الشخصي والمؤسساتي والجماهيري في جميع السياقات البشرية تقريباً على امتداد أرجاء العالم المعروف، وهذا الاتساع الهائل في تحليل الخطاب توازى مع إعادة صياغة مستمرة لعلاقته البينية مع العلوم الإنسانية الأخرى"⁽²⁾.

الخطاب اللساني في الاصطلاح الحديث:

كانت الدراسات اللسانية الوصفية والسلوكية كنظرة دي سوسير الفصلية بين مفهومي اللغة والكلام، وأن اللغة ظاهرة اجتماعية لا توجد إلا في المجتمع بينما الكلام عمل فردي يقوم بإنجازه كل فرد على حدى، لذلك فهو محصور في الجمل،؛ وقد حصرت مفهوم الخطاب في عدم تجاوزه للجملة، وهي "فئة في تناولها للغة تركز دائماً على تحليل بنية الجملة ووصفها ولا سيما على تجزئ وحدات لغوية وتصنيفها داخل مستوى الجملة وهي بذلك تقوم بتفتيت أجزاء نماذجها

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، المصدر نفسه، ص 69

² عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسميائية الأيقونات الاجتماعية. مجلة فصول دراسات نقدية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع84/83، 2013/2012، ص509

باصطناع مستويات ووحدات صغرى تقوم بتفريعها من خلال التصنيف ... فإنه ينبغي لحصيلة كل نظام أن تجمع بأكملها ومن ذلك مثلا الصوتيات ⁽¹⁾. في حين أن مفهوم الخطاب لدى ثله من اللسانيين قد خرج عن محدودية الجملة متجاوزا إياها إلى النص اللساني سواء كان منطوقا أو مكتوبا ، باعتباره خطابا وأخذوا في ذلك الموقف الاجتماعي للخطاب في الحسبان وأنه لا يتم الخطاب إلا به ، وقد طور من هذين المفهومين (اللغة والكلام) في الحقل اللساني والتواصلي "فصار المفهومان عند هيلمسليف: Helemslive (الجهاز والنص) (texte,systeme) ، وعند Noam Chomsky : (الطاقة ، الانجاز) (performance,compétence) وعند رومان ياكبسون: Roman jacobson : (الدليل ، الرسالة) (Cod Message)، وعند قصطاف قيوم Gustave Guilaume : (اللغة والخطاب) (Discours ، Langue) وعند ولان بارت: Rolan Parth (اللغة ، الأسلوب) (Langue style)" ⁽²⁾ .

ويعد الناقد اللساني هاريس (HARRIS (1912/1909): حينما تكلم عن مسألة التوسع اللساني وأن لسانيات الخطاب في مفهومها الواسع قد تتجاوز نحو الجملة إلى نحو النص ، باعتبار أن الخطاب اللساني ماهو في الأخير إلا حصيلة متوالية من الجمل ، يقول عزمي عيال سلمان مبينا هذه النقلة اللسانية : " والمسألة الثانية هي توسيع حدود موضوع البحث اللساني بجعله يتعدى (الجملة) إلى (الخطاب) فاللغة وفقا لهاريس لاترد في صورة كلمات أو جمل منعزلة ، بل في نص مترابط بدءا من المنطوق المكون من كلمة واحدة حتى المؤلف المكون من عشرات المجلدات من الحوار الفردي حتى المناظرة العامة .ولذا ينبغي ألا تحلل الجمل إلا في سياق نصوص دائما ، باعتبارها أجزاء من خطاب شامل " ⁽³⁾ . والخطاب اللساني في إطاره العام شبيه بالنص إلا أن النص قد يكون مكتوبا ، في حين الخطاب يكون ملفوظا في معظم الأحيان ، ويعرف بنفديست الخطاب فيقول بأنه " الملفوظ المنظور إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل [وهو] كل تلفظ يفترض متكلما

¹ - عزمي عيال سلمان، لسانيات النص وتحليل الخطاب ، ط1-2020م-دار كنوز للمعرفة للنشر والتوزيع. عمان – الأردن ص-36.

46 بوحوش د . رابح الشعريرات والخطاب ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة – الملتقى الدولي الأول في تحليل الخطاب يومي 11 إلى 13 مارس – 2003 م ، ينظر مجلة محكمة للدراسات والأبحاث – المجلد 02 – العدد 04 –(08) – 2022/06/ 30 – ص 67.

³ د . عزمي عيال سلمان – لسانيات النص وتحليل الخطاب – مرجع سابق ، ص38

ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما...⁽¹⁾ ويضيف بنفديست هنا خاصية التأثير أو التفاعل أثناء التواصل بين المستمع والمتكلم حتى يمتلك الخطاب اللساني سمة التفاعل بين الطرفين ويتمكن المخاطب من القصيدة أو التبليغ (وهو الهدف المتوخى من الخطاب).

ولبلوغ الأهداف يرفض تشومسكي : النحوي الوصفي الذي يقف عند الوقائع اللغوية، ويصفها كما هي ، ويوضح أن هناك جانبين مهمين : لفهم اللغة الإنسانية: الأول هو الإنجاز اللغوي : Performance ويمثل ماينطقه الإنسان فعلا ؛ أي البنية السطحية ، والثاني هي الطاقة اللغوية "Compétence" وتمثل عن المتكلم السامع المثالي: البنية العميقة للكلام"⁽²⁾ وهذا مايمثل المعنى الصحيح للخطاب اللساني فما ينطقه الإنسان فعلا هو اللغة التواصلية ومايمثله السامع ويفهمه ويدركه هو المعبر عنه بالبنية العميقة للكلام ولن يتمكن المخاطب من الخطاب والتبليغ إلا بفك شفرات وقرائن النص اللساني التي تسعى السنن فيأتي بعد ذلك عنصر الإدراك ، " فكل خطاب إنما يدور في هذه المدارات الستة مهما كان نوعه واختلاف الخطابات في طبيعتها وجنسها ، إنما يكون في تركيزها على عنصر من هذه العناصر أكثر من سواه ، وبذلك تختلف وظيفة الخطاب من إخبارية أو انفعالية أو مرجعية أو انتباهية أو معجمية أو شعرية."⁽³⁾

وقد يخرج الخطاب عن منحاه اللساني إلى منحنى تداولي بحث وذلك من خلال تحليل السياقات التداولية عن طريق وظيفة ودور الأفعال الكلامية في تفعيل الدلالة اللسانية وتوضيح المعنى التداولي للخطاب : "ويرى فان ديك VAN DIJK أن كل عبارة منطوقة يجب أن توصف من خلال الفعل التام للإنجاز ، المؤدي إلى إنجازها بالإضافة إلى وصفها من الوجهة التركيبية والدلالية ، فالمستوى التصوري والدلالي للعبارة ينبغي تكملته بمستوى ثالث : هو مستوى فعل الكلام ، كما أن العبارات المنطوقة يجب إعادة صياغتها تحت وحدة أوسع ماتكون وهي المتن أو النص ، الذي يمثل الصياغة النظرية المجردة لما يسمى الخطاب.... في حين يعد الخطاب تجسيدا للنص بوصفه فعلا تواصليا من خلال سياقه التداولي؛ فالخطاب من خلال هذا التصور يحمل وظيفتين وظيفة

¹ مجلة الموقف الأدبي -مجلة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق-العدد 401-أيلول 2004-ص 32/31

² د . رابع بوحوش : التراكيب اللسانية في الخطاب الشعري القديم - تطبيقات على النظرية التوليدية التحليلية لتشو مسكي ، الناشر ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 1 ، 2006 . ص 8/7

³ المرجع نفسه ، التراكيب اللسانية في الخطاب الشعري القديم ، ص 21 / 22 .

دلالية لسانية ووظيفة تداولية وكلامية وهو مفهوم شمولي يحوي مقاربات : تركيبية ودلالية وسياقية وتواصلية وتداولية ووظيفية في العملية التخاطبية *وقد اقترب من هذا المفهوم بعض العلماء الأصوليين كالجاحظ في تصوره للمفهوم اللساني المعاصر للخطاب اللساني. حيث جمع بين تداولية الخطاب والوظيفة الأساسية للغة وهي الإفهام ، كما أن تداول اللغة لابد أن يكون في خضم العقد وهو السياق الاجتماعي للغة .

وبحسب قوة وتأثير الخطاب على السامع (المتلقي) يكون التفاعل التواصلي وهو الوظيفة التأثيرية الثانية للخطاب اللساني . وهذا ما يحقق الكفايات الآتية :

الكفاية أو الملكة التواصلية : وهي معرفة المتكلم أو المرسل متى وكيف يستعمل العلامات السيميائية التواصلية ومتى يجب عليه التوقف أو السكوت ومتى يجب عليه التواصل وذلك بحسب ظروف ومقام الخطاب من جهة وبحسب الزمان والمكان ، ونوع السياق التواصلي في الخطاب أو الرسالة التواصلية.

الكفاية الاجتماعية والثقافية : وهي معرفة ودراية الملقى أو المرسل باختلاف الثقافات الاجتماعية ، في الاستعمال غير اللغوي للخطاب عن طريق العلامات غير اللغوية في التواصل ، وهذا ما يكسب المرسل أو المتلقى مهارة الفهم والاستيعاب في السياق غير اللغوي للخطابات التواصلية .

كفاية الملاحظة والسماع : وتتمثل في حدة وقوة ملكة السماع بين المرسل والمتلقي بالإضافة إلى دقة الملاحظة لدى المخاطب لأن التواصل هاهنا حركيا وإشاريا أكثر منه لسانيا وكلاميا مما يجعل المخاطب شديد الانتباه والملاحظة .

إلا أن استعمال اللغة في الخطاب اللساني والتواصلي يبقى دائما هو الأرقى أداة ووظيفة وإبانة وكشفا للمعاني المخبوءة تحت لسان المتكلم مما يزيد تأثيرا وفاعلية على المخاطب لاسيما إذا كان هذا المخاطب يتمتع بملكة لسانية تتمثل في فصاحة اللغة وبلاغة الكلام وما يثبت هذا "قوله

عزوجل: { بلساني عربي مبین } الشعراء / الآية 195. ⁽¹⁾ وقد ذكر الله صفة اللسان للدلالة على اللغة ولم يقل بإشارات أو قرائن أو ... ثم أضاف له صفة: "مبین" وذلك لأن اللغة هي السبيل الوحيد للإبانة والدليل القاطع للعدر والمقيم للحجة لاغير ، ويصوغ اللساني المعاصر د. أحمد المتوكل كلاما يبين هذه الصفة فيقول: "يسخر مستعملو اللغة هذه الأداة لتحقيق أغراض متعددة كالتعبير عن الفكر والأحاسيس والمعتقدات والتأثير في الغير بإقناعه أو ترغيبه أو ترهيبه أو مجرد إخباره بواقعة ما. إلا أن هذه الأغراض وإن تعددت واختلفت من حيث طبيعتها أوية إلى وظيفة واحدة هي تحقيق التواصل بين أفراد مجتمع ما. فمن المعلوم أن التواصل يمكن أن يتم عبر قنوات أخرى كالإشارة والصورة إلا أن التواصل عبر هذه القنوات لا يرقى دقة وقوة إلى التواصل المتوسل فيه باللغة [....] ويتقضي التواصل الناجح أن تطابق العبارة المنتقاة سياق استعمالها ، وسياق استعمالها سياقان : سياق مقالي وسياق مقامي " ⁽²⁾ وقد ذكرنا سابقا أنه حتى تتحقق نجاعة الخطاب لابد من أخذ السياق في الحسبان ولا بد من مراعاة المقام لمقتضى حال الخطاب اللساني

5_ العرفانية والخطاب اللساني :

العرفانية: "Cognitivisme" كما سبق هي الدراسة الجامعة بين اللغة وطرق المعرفة أو الإدراك الذهني للغات في الأسر البشرية قال تعالى: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون} النحل / الآية/ 78 ⁽³⁾، حيث أن الله عز وجل بين أنه قد جعل كلا من السمع والبصر والأفئدة (جمع فؤاد وهو القلب) آليات ووسائل للإدراك والعلم والفهم ، وهي من عظيم نعم الله علينا، ومن استراتيجيات اللسانيات العرفانية أن تتخذ من هذه العناصر العدة المعرفية والاكتشافات اللسانية المتنوعة في دراسة وتحليل اللغات البشرية ، ويعد الخطاب اللساني واحدا من سبل المقاربات العرفانية ذلك لأنه مشتمل على صفات العرفنة كالسمع

¹ سورة الشعراء / الآية 195 رواية حفص عن عاصم .

² إسماعيل علوي - د. وليد أحمد العناتي : أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية ط 1 ، 2009 ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الرباط ، ص 37/36

³ سورة النحل ، الآية 78 ، برواية حفص عن عاصم .

والبصر والمحادثة (الإدراك اللغوي) والتي تتم عبر عملية ذهنية ممتزجة مع التفكير في الخطاب اللساني والتواصلي ، كما تساهم العرفانية في تفعيل ونجاح الخطاب اللساني معتمدة في ذلك مجالات معرفية كعلم النفس ، والانثربولوجيا ، وعلم الاجتماع ؛ إذ تهتم ببعض جوانب الخطاب اللساني وتوسع من وظيفتها في الحقل التواصلي والدلالي وهي كالآتي :

الإيحائية والتأويل : يساعد التحليل اللساني العرفاني بشكل جدهام في معرفة النصوص والخطابات اللسانية ، وبخاصة مايتعلق بالبيان أو الإيحاء والبلاغة التأويلية للخطاب ، وذلك من خلال دراسة العلاقات الداخلية للوحدات اللسانية في تحديد الدلالة ومنه الفهم والإدراك الذهني للغة ثم تحليل العناصر البيانية للغة كالمجاز والاستعارة مثلا ؛ انطلاقا من مدى تخيل الذهن لهذه المعاني الكامنة وراء اللغة (التأويلات الدلالية للخطاب) ، ثم الخروج في الأخير بتصور ذهني لحقيقة الشيء الكامن في الذهن ويطلق عليه الإدراك اللساني والعرفاني للأشياء فكثير من الخطابات اللسانية عقلية وعميقة الفهم ، كالتورية في الشعر مثلا ، والتعريض ، والمجاز : " وهو التعبير بلفظ له معنى معروف ، ولكن يتم تخصيصه إذا كان عاما للتعبير عن ظاهرة أو فكرة معينة ، أو تعميمه إذا كان خاصا أو تقييده إذا كان مطلقا ، أو استعماله لمعنى آخر جديد " (1) وهذا كله مما لا يدرك معناه إلا بالعقل الراجح الذي يحوي سلامة الذهن وملكة اللسان للمتلقي فيتأول الكلام على منطقه المجازي الصحيح فيمثل قول المخاطب فعلا تأثيريا ، كما بين ذلك أوستن في نظرية أفعال الكلام حيث " الفعل الناتج عن القول أو الفعل التأثيري : يتمثل فيما يتركه المتكلم أحيانا أو العادة حدوث بعض الآثار في إحساسات المخاطب وأفكاره أو تصرفاته أي في الاعتقادات والسلوكات ، ومن أمثلة تلك الآثار : الإقناع ، التضليل ، الإرشاد ، التثبيط ... " (2) وليست اللغة هي السبيل الوحيد للفعل التأثيري ، أو الفعل الناتج عن القول وإنما الإشارات غير اللغوية قد تؤدي كذلك هذه الغاية التواصلية .

معرفة وتصنيف الخطابات اللسانية على أساس الذكاء :

¹ علي فراق ، نحو مصطلح طبي جديد ، مجلة اللغة العربية ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية - العدد الرابع ، ص 302

² أوستن : نظرية أفعال الكلام العامة ، كيف ننجز الأشياء بالكلام ، تر: عبد القادر قنيني ، إفريقيا ، الشرق ط 1 . 1991م ، (ينظر : مقال ، محمد سلطاني ، الأفعال الكلامية والحجاج أية علاقة ، جامعة عمار ثلجي الأغواط ، ص 110)

إن من أهم مبادئ اللسانيات العرفانية تحديد عنصر الذكاء في التواصل اللساني، ومنه تصنيف الخطابات اللسانية إلى مستويات بحسب قوة أو ضعف القدرة الإدراكية للفهم والتأويل والإنجاز الفعلي للقول، فكثير ممن له خلل ذهني، أو تأثر حسي أو حدث نفسي يعيق عليه مستوى الإدراك، كما ينغص عنه مستوى الذكاء الذي هو أساس تفعيل ونجاح الخطاب اللساني، فالعرفانية تنظر من هذه الزاوية في دعم مستوى الذكاء الإنساني للرقى بالخطاب واللغة التواصلية، بالنسبة للإدراك والمعرفي فإن بيارجيه في نظريته اللسانية المعرفية، يرى أن الناس يولدون ولديهم المسعى لتنظيم العمليات الفكرية، لتصبح بنى وتراكيب معرفية؛ والتي تلعب دورا مهما في فهمنا للعالم الخارجي ومما جاء في اكتساب ومعرفة اللغة لديه مصطلحات منها:

- الأبنية العفوية: وهي عبارة عن تنظيمات تظهر خلال أداء العقل لوظائفه، وتتغير هذه الأنظمة أثناء النمو الالتقائي يدخل في تكوين البنية مايسميه بيارجيه: بالصور الإجمالية أو المخططات العقلية Chimas وهي البنى المعرفية التي يتكيف بها الفرد فكريا وينظم بها بيئته. - التوازن: وهي عملية تنظيمية داخلية تجمع بين التكيف وتمثل الأشياء ومدى ملاءمتها ثم الموازنة بينهما لدفع الاضطراب وتحقيق الإدراك والمعرفة. فهي تنظر هنا (المعرفية) إلى الإنسان ليس المهم حشو دماغه بالمعارف والعلوم فقط بل أن تعطي للمتعلم استراتيجيه التفكير، وطريقة صائبة في اكتساب المعارف، وكيف تستنتج؛ على أساس أن المعرفة تكون في دماغ التلميذ، وليس معارف تلقن له؛ فينتقل هنا من السؤال ماذا يتعلم إلى السؤال كيف يتعلم؟ ولهذا يولي أهمية بالغة في كون الحواس هي المدرك الأساسي للمعارف وعلى رأسها السماع الذي يعده بن خلون "أبو الملكات اللسانية" في فهم الخطاب اللساني وتعلم اللغة.

"فقد تناول "بيارجيه" مواضيع فلسفية من وجهة نظر تجريبية، وسعى إلى تكوين علم المعرفة "Lepstemologie" كعلم منفصل عن الفلسفة لكنه يصل بمجموع العلوم الإنسانية. إنه الرجل الذي خصص لفكر الطفل واليافع الصفحات العديدة من الملاحظات الدقيقة حول نمو وتكوين المعرفة في ذهن الإنسان [...] وضع قوانين شبه ثابتة للنمو الذهني والمعرفي عند الإنسان بشكل عام." (1)

¹ تأليف أ. مورييس شربل، التطور المعرفي عند جان بيارجيه ط1. 1996 - بيروت. لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - ص19

وترى النظرية البيولوجية كجزء من المعرفة اللسانية أن الطفل يتعلم اللغة انطلاقاً من علاقات و جوانب فيزيولوجية مثل جهاز السمع والنطق ومنها علاقة اللغة بالدماغ وإحكام التنفس وضبطه ، فيبدأ الطفل بتعلم المفردات والكلمات فالجمل ، وقد يجد صعوبة في وفق تطور اللغة ، خصوصاً عند ذوي العاهات كالصم والبكم في مراحل اكتساب اللغة المنطوقة منها والمكتوبة ، ولكن لا يجد صعوبة في تذكر بعض الأشياء ، لأن اللغة هي عبارة عن أسس صوتية ونحوية ودلالية مشتركة بإمكان أي طفل تعلم لغة ما لذا ترى هذه النظرية أن الصوت أساسي في تعلم اللغة والسمع له أثر كبير في طريقة أداء الأصوات ، وسرعة اكتسابها مرتبط وثيق الارتباط بنضج الدماغ أو اكتمال العقل .ولهذا فلذكاء بارز الأثر في تطوير الخطاب اللساني وذلك من خلال جزالة التراكيب اللغوية وحسن انتقاء الألفاظ مع الإيجاز والإيحاء ، لهذا نجد بعض الخطابات اللسانية أبلغ من بعض بالرغم أنها تناول نفس الموضوع ، وهذا دليل على أن كلا من الذكاء والفهم والإدراك المعرفي واللساني مختلف من عقل لآخر في التخاطب اللساني.

مساهمة اللسانيات العرفانية في تعليمية اللغات و بناء الملكة التواصلية والتبليغية :

لسانيات العرفانية بالغ الأثر في مجال تعليم وتعلم اللغات وفي بناء الملكة اللسانية لاسيما التواصلية والتبليغية منها ؛ ذلك لكونها تعتمد على تطوير منهجية التفكير الذهني والجوانب الفيزيولوجية المتعلقة بالسمع والبصر والنطق والإدراك العقلي وكلها آليات تساعد في اكتساب الملكة اللغوية التي تفضي في تكرار ممارستها إلى ملكة تداولية (خطابية) كما تحدد القيم الثقافية والنفسية واللغوية والعلمية والعقلية في الخطاب اللساني ، ولن تتحقق الملكة التواصلية والتبليغية ؛ حتى تصقل بنوع من الممارسة والتكرار ، بالإضافة إلى معرفة القواعد التداولية التي تكمن في مستعمل اللغة من إنتاج وفهم عبارات لغوية سليمة في مواقف تواصلية مختلفة ، مما يحقق ما يسمى بالكفاية النفسية للمتكلم التي تطابق بين استعمال قواعد النحو أو اللغة مع الأولويات التي تصول وتجول في ذهن المخاطب خلال إنتاج الكلام ، وهذا ما جاءت به نظرية النحو الوظيفي يقول د.أحمد المتوكل: " تنقسم النماذج النفسية بطبيعة الحال إلى نماذج إنتاج ونماذج فهم . تحدد نماذج الإنتاج كيف يبني المتكلم العبارات اللغوية وينطقها، في حين تحدد نماذج الفهم

كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية وتأويلها. وعلى النحو الوظيفي الذي يروم الوصول إلى الكفاية النفسية أن يعكس بطريقة أو أخرى ثنائية الإنتاج / الفهم هذه⁽¹⁾، ويستفيد المتكلم من نماذج الإنتاج والفهم و تحقيق القدرة اللغوية والتواصلية تحت مايسمى بـ "المكون المفهومي { المعرفي } الذي يتضمن القدرة اللغوية والتواصلية للمتكلم من جهة ، ومعارفه عن العالم { واقعي أو ممكن } من جهة ثانية ، ويميز داخل هذا المكون بين مقاصد المتكلم وتصوراتهِ للواقع ، وينعكس هذا التمييز داخل المكون النحوي في الفصل بين المستوى العلاقي والمستوى التمثيلي⁽²⁾." والمستوى التمثيلي للمتكلم حسب رأي د.أحمد المتوكل لا يتأتى إلا مكن خلال القدرة اللغوية والمعرفة الخارجية للعالم أو مايسمى بالسياق اللغوي ومنه تحقيق المقصدية أو التبليغية من الكلام.

6_ العرفانية والفعل التعليمي:

تساعد اللسانيات المعرفية في تحليل ودعم كثير من العلوم كاللسانيات العيادية واللسانيات التعليمية ، وذلك من خلال تشخيص وعلاج الأمراض الكلامية باستعمال التحديات العقلية مثل علاج السلوك المعرفي والعلاج الديناميكي والنفسي وذلك للتطوير من قدرة الشخص أو المتعلم على استخدام المهارات العقلية لإيجاد أفكار جديدة ومبتكرة وهذا مايسمى بالإبداع ، كما تساعد وتساهم في تنمية الفعل التعليمي وذلك من خلال مراقبة وتبسيط المعلومات بمايتناسب و العمر والعقلي للمتعلم مما جعل المتعلم هو محور العملية التعليمية والتعلمية في الدراسات اللسانية الحديثة ، حيث تعد كل من النظرية المعرفية لبياجيه واللسانيات التواصلية مرجعا أساسيا تنتقي منه العملية التعليمية أفكارها ومبادئها العلمية المختلفة ، وقد قسم بياجيه العمر العقلي للمتعلم إلى أربعة مراحل مراعىا في ذلك التدرج العقلي ، والقدرة على الاستيعاب والفهم ، وفق دراسة التصور الذهني للأشياء عن طريق تطوير القدرة العقلية والمعرفة الإنتاجية والتعلم ، كما اعتمد على علم النفس العيادي في تحسين إدراك حركة الحواس كالسمع والنطق والبصر ، والإشارة واللسان و..التي هي أساس الإدراك والمعرفة العلمية . " والهدف هو أن نحدث تكاملا بين

¹ أحمد المتوكل ، التركيبات الوظيفية ، قضايا و مقاربات ، مكتبة دار الأمان ، الرباط ط 1 . 2005 . ص 51

² المصدر نفسه ، التركيبات الوظيفية . ص 63

اللسانيات بين اللسانيات والعلوم العرفانية الأخرى ، لا أن نضرب صفحا عن النتائج التي توصلت إليها العلوم ، وننتكر لها؛ فلكي نفهم اللغة وسبر أغوار الدماغ نحتاج إلى كل علم أن يأتي بما يستطيع ؛ لكي تكتمل الصورة وتستوي⁽¹⁾ وهذا مايوحي بأن تداخل المعارف والعلوم الذي جاءت به العرفانية ؛ يؤدي إلى الرقي العلمي والوصول إلى نتائج عالية لاسيما في الحقل التعليمي والتعليلي ، وذلك بامتلاك كفايات علمية مختلفة وملكات لسانية فائقة: كالمملكة اللسانية ، والمملكة التواصلية ، والمملكة التعليمية ، والمملكة الموسوعية ... حيث تساهم كل من اللسانيات المعرفية (ن/العقلية لتشومسكي ون/المعرفية لبياجه) في بناء النظرية التواصلية والتبليغية وفي إنجاز الفعل التعليمي". فالتطور الذي يشهده الفكر التربوي المعاصر، يسري بعقلنة وترشيد العملية التعليمية والاهتمام بالتنوعية وتحسين المردود التربوي يتجلى أكثر في تسليط الضوء على الفعل التعليمي التعليمي ولا بد من انجازه والاستفادة من معطيات التقدم الذي تعرفه علوم السيكلوجيا والسوسيولوجيا، وكذلك البحوث البيداغوجية والابستمولوجية⁽²⁾. وكل من المعارف العلمية والبيداغوجية والانترولوجية والسيكلوجية آليات ركائز للفعل التعليمي .

7_ المعرفة اللسانية و التقابل اللساني :

تعد المعرفة اللسانية كما ذكرنا سابقا مجموع العلوم والتخصصات اللسانية التي تهتم بظاهرة اللسان والإدراك اللغوي ، واللغة فيها هي المفتاح أو الآلية التي يعتمد عليها البحث اللساني العرفاني، ومن بين هذه البحوث نجد مايسمى بالتحليل التقابلي أو مايسميه البعض بالتقابل اللساني ،وهو منهج يقابل في دراسته بين لغتين أو لهجتين أو لفظتين ، وذلك من أجل معرفة أوجه الاختلاف والتشابه في جميع مستويات اللغة الصرفية والنحوية والدلالية والصوتية ...، وكذا من أجل التنبؤ بالصعوبات التي تواجه هذا البحث والسعي في إيجاد الحلول المناسبة لها ، كما يسعى في تطوير عمليات التعلم والفهم والإدراك اللغوي ، وتحليل الأخطاء اللغوية ومعالجة أمراض الكلام ، عن طريق وسائل علمية مختلفة ، وترجمة اللغات بعضها ببعض ، كما يهدف المنهج التقابلي إلى

¹ لتمثيل الدلالي للجملة منوال جاكندوف 1983 ، منية العبيدي، منشورات عالمات؛ المغرب، ط1، 2013، ص48

² طاب عيسى، يف سؤال الديداكتيك، جملة الدراسات، العقبي ص، م العدد السابع جوان، 2015، وزارة التربية الوطنية، ص0 16

إعداد المواد الدراسية والتحسين من جودة المردود التعليمي ، وإذاما جئنا إلى التعريف اللغوي فهو : " تحليل ظاهرة لغوية معينة في لغتين مختلفتين " (1) ومادام التحليل يدور في حقل اللغة فمن باب أولى أن نفهم وندرك ونستوعب هذه الظاهرة اللغوية قبل تحليلها ودراستها ، وتدخل المعرفة اللسانية في هذا المنهج التقابلي عن طريق تحسين الكفايات اللسانية و الثقافية و التواصلية ؛ وذلك بتطوير الملكات اللسانية والإدراكية في الحقل اللساني والتقابلي . والإمساك بزمam اللغة والتمكن منها لا يكون إلا بسلامة الحواس (السمع والبصر والنطق واللسان والحركة والسكون و....) وكذا بسلامة التفكير اللغوي والعقل المبرمج لهذه الحواس ؛ حتى تدرك الظاهرة اللغوية إثر تحليلها إدراكا تاما وصحيحا ؛ وهذا ما تعتمد إليه اللسانيات العرفانية إلا أن هذا المنهج اللساني التقابلي يركز على الظاهرة اللغوية في المقابلة أكثر من تركيزه على الآليات اللسانية و العرفانية و السيكلولوجية لإحدى اللغات وهو منهج قديم ونشأ لعدة أسباب من أهمها الحاجة الى تعلم اللغات الأجنبية في الحرب العالمية الثانية مما استوجب تعلم لغات العدو إلى المقارنة والمقابلة بين اللغة الأم واللغة الأجنبية الثانية في حين أن العرفانية اللسانية منهج حديث النشأة ، ظهر في خمسينيات هذا القرن على ألسنين أمريكيين كتشومسكي وفيلمور و.."فهم يرون أن اللغة بنية معلومات موجودة في الذهن البشري ولا يمكن فهمها إلا من خلال علاقتها ببعض الظواهر العقلية الأخرى ، كالإدراك والذكاء والتذكر والتخيل ، بعدها نضجت أفكارهم وتوسعوا في الدراسة اللغوية [....] إلى أن وصلت البلاد العربية عبر أدوات الفعل الترجمي." (2) فالترجمة اللغوية هي من مبادئ التقابل اللساني إلا أنها لاتقوم إلا بواسطة المعرفة اللسانية للمترجم أو المتعلم لتلك اللغة أو معرفة جزء منها وإلا يصعب عليه فك شفرات ورموز هذه اللغة أثناء التعامل معها .ومن سبل الترقية اللغوية وتطوير الملكات اللسانية في اكتساب أو تعلم لغة ثانية مايسى بالممارسة والتكرار ، وكذلك امتلاك مهارة التصرف في الكلام وليس نقل البنى اللسانية والتحاو بها جافة دون إدراك فحواها في التقابل اللساني يقول د. عبد الرحمن الحاج صالح " فالتصرف هو العمل في ذوات الكلم

1 أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، القاهرة . عالم الكتب ، ج.3 ، ط1 ، 2007 ، ص177

2 أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ، الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني في اللسانيات العربية 2021 / 2022 . ص/ب إعداد الطالب : صام عبد القادر .

والتراكيب [...] والعمل الاكتسابي للغة كله تمرس ورياضة مستمرة ، كلما زادت وتواصلت ، زاد النمو اللغوي بدوره وقويت الملكة⁽¹⁾. ويستفيد البحث اللساني التقابلي من المعرفة اللسانية في مجال ترجمة اللغات ، حيث إن تحقيق الملكة اللغوية في كلتا اللغتين سواء المنقول منها أو المنقول إليها مرهون بمعرفة مستويات تلك اللغة ، حتى يصبح الممتلك للغة الثانية يحسن التصرف اللغوي فيها ويجيد الاستعمال الوظيفي للغة في جميع مقامات التواصل والخطابات اللسانية إذا مادعت الحاجة إلى ذلك ، كما أن هناك اختلاف وتماثل في مستويات اللغة النحوية والصرفية والصوتية والدلالية والتركيبية والبلاغية ؛ ومن واجب الدارس أو المتعلم للغة الثانية معرفة هذه المستويات والإلمام بها مقارنة مع مستويات اللغة الأم ، حتى يتمكن من الاستعمال الوظيفي للغة المترجمة أو المدروسة بسهولة ويسر .

ترقية المعرفة اللسانية للكفاءة اللغوية للمتلقي: بما أن اللسانيات العرفانية هي مجموعة من التخصصات والفروع اللسانية كعلم النفس اللغوي ، والإدراك الذهني البشري ، وعلم الاجتماع اللغوي وعلوم تقنية أخرى ... وكلها تبحث كعلم لساني واحد حديث النشأة في مدى فهم وإدراك الذهن للظاهرة اللغوية ، وكذا في مدى تمثل وتفسير هذه الظاهرة عند التلقي أو عند الإنتاج اللغوي مما يساهم في تطوير الملكة اللغوية والإبداعية سواء لدى المتلقي للغة والنصوص الأدبية أو للمنتج لها ، وتعرف الكفاءة اللغوية أنها: "تمكن الفرد من تمثل اللغة كتابة وتعبيراً، أما كتابة فعندما تقل نسبة الأخطاء الإملائية أو الكتابية أو تنعدم، وأما تعبيراً فقدرة الفرد على التعبير السليم نحوياً وصرفياً ، مع ملاحظة إفادته من تقنيات التعبير المتعددة ضمن الجملة العربية ، كالقديم والتأخير ، والفضلات ، وشبه الجملة والجملة الاعتراضية ، وغير ذلك من المهارات"⁽²⁾ فالمقدرة النحوية والمقدرة التعبيرية فقط لاتكفيان لتحقيق الكفاية اللغوية لوحدهما بل هناك جانب آخر وهو

¹ عبد الرحمن حاج صالح، أثر اللسانيات العربية في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية ، مجلد 1 ، ع 4 - ص 70 د ، ت

² صالح كرمة قمزوى، وأمين عبد هللا اليزيدي، ومحمد الخليفة أحمد (2019). قصور الكفاءة اللغوية وآثارها وأسبابها ومظاهرها: دراسة لغوية تطبيقية على طالب قسم اللغة العربية بكلية التربية. مجلة المهرة للعلوم الإنسانية، كلية التربية المهرة، جامعة حضرموت (العدد 7)، ص 57 - 84. ينظر مجلة جامعة جنوب الوادي الدولية. العدد 8 - 2022 - ص 51

الإبداع والقدرة الذهنية على التأليف اللغوي على نمط غير محدود للبنى والألفاظ اللسانية ، وترتبط اللسانيات العرفانية بالكفاءة اللغوية فيما يلي :

" تهتم اللسانيات العرفانية بالآليات الذهنية المسؤولة عن توليد الخطاب الأدبي وتشكيله وفهمه من خلال التركيز على النماذج الإدراكية والكيانات الذهنية المصاحبة لعملية إنتاج وبناء الدلالة ، ومن ثم فإن امتلاك المتلقي لكفاءة لغوية إبداعية فهذا يؤهله بلا أدنى شك للوصول إلى الدلالات العميقة الكامنة وراء النصوص الإبداعية المنتجة ، فيكشف عن مقاصده وقد ينسج عن منوالها مايفوقها " (1)

لسانيات العرفانية مبدئين أساسيين يقاطعان مع الملكة اللغوية للمنتج أو المتلقي وهما (1- الموقف الذهني النفسي للغة ، 2 - الموقف التأليفي الإنتاجي للغة) " فاللغة الطبيعية بنية معلومات مرمزة في ذهن البشري أو هي تمثيل ذهني [...] ويتقاطع هذا الأساس مع مؤشرات الكفاءة اللغوية الإبداعية من حيث امتلاك المتعلم لقدرات التشبيه والتصور والتخيل والاختيار ، فيصور العلاقة التي بها تربط اللغة والعالم الخارجي ببعضهما في ذهن البشري، والأساس الثاني :هو الموقف التأليفي : حيث يستطيع مؤلف اللغة /مبدع اللغة ومنتجها خلق عدد لا محدود من الأقوال وفهمها ، وهذا المبدأ يتفق وامتلاك المتعلم لمؤشرات القدرة على التركيب والتخلص والتصرف والتمييز والانسجام والملاءمة." (2) حيث تسعى اللسانيات المعرفية فيما بعد إلى بناء استراتيجيات ناجعة وفعالة في تطوير الكفاءة اللغوية وتحسين تعلم اللغات عن طريق تقوية النمو العقلي والمعرفي ، والنمو اللغوي ، والنمو الانفعالي والوجداني والاجتماعي للغة ، عن طريق تكامل العلوم المعرفية لترقية الفعل اللغوي والخطاب اللساني والتواصلي بصفة عامة .

تساهم اللسانية العيادية كعلم يبني من اللسانيات العرفانية في تحسين ملكة اللغوي وذلك من خلال معالجة أمراض الكلام ، كاللثغة والتأتأة والحبسة و... وذلك من خلال دراسات علمية تطبيقية تطويرية لعمليات الإنتاج والتواصل اللغوي . ويضع د. عبد الرحمن الحاج صالح جملة

¹ مجلة جامعة جنوب الوادي الدولية . العدد 8 - 2022 _ علاقة اللسانيات العرفانية بالكفاءة اللغوية / ص 435

² آسيا عمراني ، دراسة الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانية. مجلة كلية الآداب ، جامعة الكوفة، المجلد 12 ، العدد 45 ص 541 - 566.

من الشروط لترقية لتحسين الملكة اللغوية والنهوض بعالم اللغة نحو الأفضل دائما وفق جملة من الشروط العلمية منها:

ـ "إكساب الملكة اللغوية عن طريق الاستعمال الفعلي والوظيفي للغة.

ـ اللسانيات وضع واستعمال أي نظام من الأدلة من جهة واستثمار لهذا النظام في الحياة من جهة أخرى .

ـ العناية بالمعجم العربي واستغلال ما أثبتته اللسانيات ومن ذلك ما جاءت به اللسانيات المعرفية في دراسة اللغة .

ـ جهود علمية تمثلت في ضبط المصطلحات العلمية التربوية ،بالإضافة إلى طرائق التدريس مع التركيز على المتعلم ، ثم المادة اللغوية بما يتناسب والعمر العقلي للمتلقي .

ـ التخطيط للمادة اللغوية ، واستغلال التراث العلمي والتكنولوجيا في تعلم وتعليم اللغات لاسيما اللغة العربية الفصحى ."⁽¹⁾ ومن بين أنواع تكنولوجيا المعرفة والعلم ما يعرف بحوسبة اللغة عن طريق التحليل اللساني الحاسوبي والذي جاء بتقنيات جديدة في الساحة العلمية اللسانية كالتعليم المبرمج ، والتعلم بالذكاء الاصطناعي في اكتساب اللغات ، واستخدام آلات علمية عصرية لقياس الصوت والذبذبات والتموج الصوتي ، وتصحيح الأخطاء اللغوية بتقنيات تكنولوجية متطورة وغيرها من الابتكارات المتنوعة التي أحدثتها الثورة العصرية اللسانية والمستجدات العلمية المختلفة .

8 خاتمة:

تختلف الأنشطة اللغوية والخطابات اللسانية بشقيها: المنطوقة أو المكتوبة في الحقل التواصل من نمط إلى آخر ، وتتدخل جملة من المقاربات اللسانية والفكرية للنهوض بعالم اللغة والرقى الفكري والفني والثقافي والتواصل ، وارتقاء هذه المجالات وما يحصل من ثراء لغوي على جميع الأصعدة اللغوية (النحوية والصرفية والدلالية والمعجمية والتبليغية) منوط بتحقيق الكفايات اللسانية والتواصلية والتبليغية والتي لا تحصل إلا بالمهارات اللغوية وبعض المقاربات اللسانية

¹ يتصرف - ينظر :عبد الرحمن الحاج صالح ، إسهامات عبد الرحمن الحاج صالح في ترقية اللغة العربية ، خيرة بلجيلالي ، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم ، العدد 17 . 2017 ، ص 63 - 78

الأخرى كالمعرفة اللسانية والقدرة التواصلية ؛ هتين الأخيرتين كان لهما الفضل في سبر أغوار الخطاب اللساني والتوصلي و ترقية الفعل التعليمي واكتساب وتعلم اللغات . ونخلص في الأخير إلى جملة من النتائج العلمية حول مدى تأثير اللسانيات المعرفية في تفعيل ونجاعة الخطاب اللساني وهي :

_تعمد المقاربات اللسانية والعرفانية في الخطاب اللساني والتوصلي إلى عدة جوانب : كعلم النفس التحليلي ، وعلم الاجتماع ، والارطفونيا ، والانثروبولوجيا ، واللسانيات العيادية ، بالإضافة جملة من الوسائل العلمية في حقل تعلم وتعليم اللغات ؛ كالذكاء الاصطناعي والتعلم المبرمج و تنمية المهارات الذهنية واللسانية والتواصلية بمستجدات عصرية وغيرها ، وتهتم السيميائية بالعلامات غير اللغوية وتحديد الدلالة انطلاقا من تحديد السلوك الإنساني في المجتمع ، بينما تركز العرفانية أو اللسانيات المعرفية في فهم مقاصد الخطاب اللساني على الجانبين : الإدراكي (وهو الجانب الذهني لفهم اللغة وتحليلها واستيعابها) والجانب التمثيلي للغة : (وهو قسم للإنتاج اللغوي أو الكلام وتحقيق الكفاية اللسانية والتواصلية) ؛ مما زاد في تحسين التواصل اللساني ، وتنمية المهارات اللغوية المختلفة .

_ يعتبر السياق اللغوي والثقافي والاجتماعي حتمية لابد من أخذها في الحسبان في دراسة الخطاب اللساني ، لأن معرفة ثقافة المتكلم ماهي في الأخير إلا انعكاس لشخصه داخل الخطاب اللساني ، ثم إن السياق اللغوي تحدد من خلاله الأهداف والغايات اللسانية و النفسية و الاجتماعية والعلمية والتواصلية والتبليغية ، ويتجلى البحث السيميائي والعرفاني بمقاربات تحليلية وعلمية ، في مثل هكذا أهداف للخطاب اللساني .

_ تسعى اللسانيات المعرفية في حصول الملكة اللغوية التي هي أساس الملكات الأخرى (كالملكة الثقافية والتواصلية والتبليغية) من خلال مجموعة من التدريبات والخبرات و العمليات اللسانية العقلية (الذهنية) والنفسية واللغوية وذلك بتحسين الفعل التعليمي ، وتوجيه الخطاب اللساني توجيهها علميا يتمشى والمستجدات العلمية في حقل التواصل اللغوي ؛ ولن تتأتى هذه الملكات إلا

بالاستعمال الوظيفي للغة في جميع مجالات الحياة وذلك بالقدرة على فهم وإدراك الظواهر اللغوية من جهة ، والقدرة على تفسيرها وإنتاج الكلام بما يتلاءم والسياق اللغوي من جهة أخرى .

_اللسانيات المعرفية هي تداخل وتكامل بين مجموعة من التخصصات اللسانية في دراسة الظاهرة اللغوية ، حيث إن الخطاب اللساني في وظيفته المنوطة إليه ماهو إلا جوانب متكاملة في تأدية الرسالة اللغوية (الجانب النفسي واللغوي والثقافي والحسي والعيادي والإدراكي والتفسيري والتواصلي والتبليغي): (التأثيري والتأثري) وكل منها له اختصاص يدرسه ويحلله ، وبتكامل وتضافر هذه الجهود تحدث المقاربة اللسانية والسيمائية والمعرفية في الخطاب اللساني.